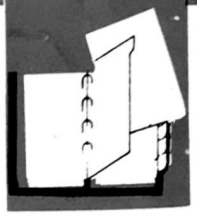

لكل طبقة مثقفوها و"كبار المثقفين" في خدمة كبار التجار!

بعيد توقف الاشتباكات ، دعا التلفزيون اللبناني الى «ندوة» حول العنف » يشترك فيها اربعة ممن يطلق عليهم لقب «كبار المفكرين» في هذا البلد ، وهم خليل تقي الدين ، رشاد سلامة ، الدكتور بشير العريضي ، والدكتور قبلان كيروز .

ومن المؤكد ان الناس ترقبت موعد هذه الندوة بالكثير من الاهتمام ، الذي لا يعود الى كمية الاعلانات المسبقة التي قدمها التلفزيون عن تلك الندوة ، بل الى العلاقة المباشرة بين الموضوع المطروح فيها وبين ما تعرضت له حياة الوطن والمواطنين على امتداد ثلاثة أشهر متواصلة .. واعتقادا بأن حديث «المثقفين الكبار» لا بد وان يكون اكثر عمقا من حديث السياسيين الكبار ، في تحليله لاسباب الفتنة وجوهرها ، وفي استخلاص نتائجها ودروسها .

وبالفعل ، كنا نطمح ، وبالكثير من الايجابية ، الى تلمس بعض التحليل العلمي — وان كان من النوع البرجوازي الاكاديمي — لدى هؤلاء «الكبار» لاسباب العنف الاقتصادية والاجتماعيه والسياسية والنفسية .. فمثل هؤلاء «الكبار» لا بد وان يكونوا قد اطلوا في دراساتهم واطلاعاتهم على ظواهر العنف في العالم، وبحوث العلماء والاختصاصيين في تلك الظواهر ، هذا بالاضافة ، الى مواقعهم الثقافيه والعلمية في الوضع اللبناني واطلالتهم الدائمة على الكثير من خصوصياته ، لا سيما على صعيد العلاقة بين التمايز الثقافي المسلط على شبيبة هذا الوطن ، وبين الخلل القائم في التعايش ما بين فئات تلك الشبيبة . هذا الى جانب الرؤية الليبرالية المتوقعة من امثالهم للعلاقة بين الوضع الاقتصادي وتركيبه من جهة ، وبين الوضع الاجتماعي وتمزقاته من جهة اخرى .

المهم.. اننا اقبلنا على الاصغاء لتلك الندوة بشيء من الامل .. لكننا خلال ثوان قليلة من بدئها ، بدانا نعيش خيبة كبيرة بذلك الامل السرابي ..

فجأة .. وبدون ايه مقدمات انقلب عنوان الندوة من «العنف» الى «الامن» .. ومع ان هذا الانقلاب يمكن ان يكون شكليا الى حد ما ، لوجود حجم كبير من الترابط بين العنف والامن .. الا انه قفز بالندوة كلها الى خارج الموضوع المتوقع . واذا بنا امام مطولات بلاغيه سمجه وسطحية في مدح الامن والمحبة، كتلك التي يلقبها استاذ «موهوب» بكمية كبيرة من الغلاظة ، في درس للتربية الوطنية على طلاب الصفوف الابتدائيه — مع احترامنا للكثيرين من الاساتذة القادرين على تقديم هذه المادة بشيء من التشويق ..

وكدنا لسماجة المواعظ وخوائها ان نقفل التلفزيون ونرتاح (وهذا الاحتمال لم يتورع احد المشاركين في الندوة عن ابرازه) .. لولا ان وصل الدور في الحديث الى الدكتور قبلان كيروز بوصفه مختصا بالاقتصاد ليحدثنا عن العلاقة بين الاقتصاد والامن .. فأجلنا اقفال التلفزيون على امل ان يتحفنا هذا العالم بما يعوض علينا بعض ما افتقدناه عند المشاركين الاخرين .

وتابعنا « نظرية» العالم الاقتصادي الكبير باهتمام ، فاذا به يقول ما معناه ان العلاقة بين الاقتصاد والامن واضحة جدا فعندما يستتب الامن يزدهر الاقتصاد وتعم البحبوحة .

هكذا فقط .. مع التجاهل الكامل لتأثير الخلل في توزيع الثروة على وضع الامن في البلاد ، وكون الفوارق الطبقيه الحادة القائمة في مجتمع من هذا النوع سببا اساسيا من اسباب اضطراب الامن ، ان لم تكن السبب الوحيد ..

ترى .. هل يجهل مثل هؤلاء الاساتذة الكبار هذا الموضوع ؟ ام في الحقيقة كانوا البرهان على ان لكل طبقة ثقافتها ومثقفيها ، فجاءت عظاتهم خدمه لكبار التجار والاحتكاريين من حيث مضمونها ، كدعوه لان « تحبوا بعضكم بعضا» ، وبشكل خاص لان يحب العمال ارباب العمل ، ويحب الفلاحون كبار الاقطاعيين، و «يتعاونوا» جميعا على «البر والتقوى» ودعم مرابح الاحتكاريين وزياده اموالهم المكدسة ، ومدها بالكثير من عرق الكادحين ودمائهم ..

«نزار سمعان»